الآثار المصرية

وابحاث السائحين الايطاليين (١)

كانت مصر منذ الازمان الغابرة كعبة القاصدين ومحط رحال السائحين من جميع البلدان ولم يكن يحدو بهم اليها غير حاجتهم الى التعلم وميلهم لرؤية ما فيها من الآثار

فاليونانيون من صولون وهيرودوتس الى فيثاغورس وافلاطون جاءوا ارض الفراعنة ليتلقنوا من فم الكهنة المصريين الحكمة وليأخذوا عنهم المعارف والعلوم التي جعلت لهم شهرة عظيمة ومكانة عالية. الى هنا جاء الاسكندر المقدوني الذي ادعى انهُ ابن آمون وحفر صورته في الهياكل الى جانب صور هذا المعبود العظيم وهو يقدم الهدايا الى الآلهة . قصد مصر ايضاً قياصرة الرومان ادريانوس وقسطنطين وتركا اسميهما محفورين في معابد طيبة والاقصر

مضت بعد ذلك قرون عديدة انسدل في خلالها على مصر ستار من النسيان حتى القرن الخامس عشر بعد المسيح ذلك القرن العظيم قرن النهضة واحياء العلوم الذي كانت فيهِ ايطاليا منهمكة باحياء العهد القديم فوفد على مصر اول العلماء الايطاليين مدفوعاً اليها برغبتهِ الشديدة وشغفهِ الكبير بمعرفة ذلك اللغز العظيم وكشف ذلك القناع الذي كان يحجب وجه مصر اشهر بلاد العالم واقدمها مدنية ذلك الرجل كان (شريا كو دي انكونا) الذي فتح السبيل لمعرفة الكتابة القديمة وترجمتها فانهُ بعد ان زار بلاد اليونان سنة ١٤٣٥ انتقل الى مصر وشاهد في الاسكندرية مسلّة بطليموس وعمود بومبيوس ونزل في النيل وسار فيهِ ميمماً نحو القاهرة حيث وقف مدهوشاً لا من عظمتها وابهتها وفخامة مبانيها ومساجدها فحسب ولكن على الاخص امام اهرامها العظيمة

اخذ صورة هذه الاهرام التي عندما رآها ايطالي آخر اسمهُ ليوناردو فرسكوبالدي احد معاصري شريا كو وكان قد قصد الشرق لغرض الاتجار فقط سماها (خزائن يوسف) . نقل شريا كو ما فيها من نقوش ورسوم ورموز وكان

(١) وقد نقلها الى العربية حضرة طه افندي فوزي

يحسبها كتابة فينيقية ولقد ترك لنا في كتابهِ العظيم كثيراً من الاشياء الغريبة النادرة المثال التي رآها في رحلتهِ محلاة بالصور والرسوم ومذيلة بشرحاتهِ وتعليقاتهِ وكان اذا سئل عما يبعثهُ على اجهاد نفسهِ في استجلاء هذه الغوامض اجاب بانهُ يريد ان يحيي الموتى

ولكن الذي جاء في الحقيقة الى مصر لاحياء الموتى الذين كانوا ينطون في نومهم العميق منذ آلاف السنين في مقابر سقارة كان ايطاليًّا آخر اسمهُ بيتر و ديلّلا فالّه اكبر سائحيتا في القرن السابع عشر. كان هذا الرجل من كبار اشراف روما واثراهم وكان اديباً وعالماً كبيراً وخبيراً في الفنون الحربية وتمتاز سياحتهُ في الشرق عن سياحة سابقيهِ الذين وفدوا الى مصر فرادى اذ جاء الى مصر بصفةٍ تكاد تكون رسمية في حاشية كبيرة من رجالهِ هي اشبه ما تكون بالبعثات الكبيرة التي ترسل في ايامنا هذه . جاب هذا الرجل معظم بلاد الشرق فمن تركيا انتقل الى مصر ومن فلسطين وسوريا الى العراق وفارس والهند وكانت حاشيته كبيرة فيها الخدم والقواسون والمقدمون وكلهم متشابهون ملبساً وشكلاً ومعهم التراجمة والاطباء والمصورون. وكانت قافلتهم حيثما حلّت لفتت اليها انظار الاهلين واكتسبت احترام امرائهم واعجابهم

سافر هذا الامير وكل همهِ وغايتهُ ما تصبو اليهِ نفسهُ ان يكتشف بلاداً جديدة ويعرف عادات غريبة ما استطاع الى ذلك سبيلاً وان يجلب لنفسهِ الشرف ولوطنهِ الفائدة بان يذيع بين مواطنيهِ اخبار ما وقف عليهِ من الغرائب والعجائب. وجعل يدوّن كل ما رآه بالدقة والعناية حتى ترك لنا تقارير وافية نقرؤها الآن بسرور واعجاب ولقد قال جيبون المؤرخ الشهير عنهُ « انهُ لم يكن هناك بين سائحي الاوربيين من امكنهُ ان يعرف بلاد الفرس احسن منهُ » ويمكننا نحن ان نضيف الى ذلك انهُ ما من اوربي نقّب اكثر منهُ في مصر ووصفها احسن من وصفهِ اياها في عهدها الاول. في الاربعة الاشهر التي قضاها هنا لم يترك مكاناً الا وزارهُ دارساً آثارهُ وطباع اهله وعاداتهم ولاسيما العاصمة وضواحيها

نزل في قارب في النيل بالقرب من اطلال مدينة الفسطاط وذهب لزيارة اهرام الجيزة الشهيرة التي وضعها بين عجائب الدنيا حيث قال « واذا قلت لك انها اعجوبة الدنيا وانا الذي اتيت من ايطاليا وروميه فلك ان تعتقد ان ذلك حقيق ». دخل الهرم

الاكبر وفحص داخلهُ ووصفهُ وصفاً دقيقاً وكان وصفهُ لخارجهِ ليقل عناية عن وصفهِ داخلهِ . كان هو اول من صعد الى قمتهِ من الاوربيين بلا جدال وهناك في اعلى نقطة في الجهة التي تقابل ايطاليا كتب « انهُ يسرني ان اترك اسمي هنا محفوراً بجانب اسم شخص آخر لا احب لهُ الشر » وذلك الشخص الآخر الذي لا يحب لهُ الشر هو تلك السيدة النبيلة التي كان يحبها حبًّا مفرطاً مدة اثنتي عشرة سنة والتي تزوجت بغيرهِ تنفيذاً لرغبة والدتها وربما كان ذلك من الاسباب التي دعتهُ للقيام بهذه الرحلة لكي يسرّي عن نفسهِ ويداوي آلامهُ واشجانهُ

زار ابا الهول فالفاهُ مغموراً نصفهُ بالرمل لا يظهر منهُ غير الرأس والرقبة وجزء صغير من الكتفين والظهر . ثم قصد الى اهرام سقارة وكانت تسمى اذ ذاك « باهرام المومیا » ودخل اكبرها الذي كان مهجوراً في الخلاء . زار ايضاً آبار المومیا وادلى بنفسهِ في احداها وقد حُفرت قبل ذلك بايام وهناك وجد كثيراً من المومیات مدفونة تحت الرمل فحمل معهُ منها اثنتين جميلتين كوّن منهما مع ما جمعهُ من الآثار الاخرى متحفاً عينياً نادر المثال . وكانت هاتان المومیتان اول ما نقل الى ايطاليا بل الى اوربا من ذلك النوع ولا تزالان باقيتين في دار العاديات بمدينة درسدن بالمانيا

ولقد كان ما كتبهُ صحيحاً اذ قال « ولا يخيل اني حصلت على شيء قليل من مصر واذا كان يجب ان نتكلم بطريقة خرافية يمكنني ان اقول انا ايضاً اني مررت بقارب كارونتي (يريد ان يقول لما مر في النيل متجهاً نحو الاهرام) ونزلت الى اماكن الجحيم واخرجت منها رغماً عن بلوطون (اله الجحيم) شخصين من عظماء المصريين واعدتهما الى نور الحياة ليحملا للمتعلمين أنباء جليلة ملأى بآلاف الاعاجيب التي تتعلق بحقائق تاريخية وتعرفهم عوائد قدماء المصريين ويمكنني ان اقول ايضاً اني اتيت بما لا يستطيعهُ (إينيا) (وأورفيو) (وتيزيو) »

اخذ بيترو بينما كان في القاهرة يدرس القبطية وكان قد اتقن اللغتين العربية والتركية بالقسطنطينية وكان اعتقاده ان العربية اثرت في القبطية فافسدتها وكان هو اول من كتب اللغة القبطية بحروف لاتينية

واول علماء العاديات المصرية هو جيوفاني باتستا بلسوني دي پادفا كان ذا علم غزير وعزيمة صادقة تغلب على صعوبات كثيرة وعرض نفسهُ لاخطار في سياحاتهِ حتى لقد قضى نحبهُ في سنة ١٨٢٣ وراح ضحية شجاعتهِ واقدامهِ بينما كان يتوغل

في تلك القارة السوداء المظلمة مكتشفاً ومنقباً في اعالي نهر النيجر

وصل ذلك الرجل الى مصر سنة ١٨١٥ وزار جميع نواحيها باحثاً ومنقباً ومستخرجاً الجثث القديمة فاكتشف تماثيل ممنون واشياء اخرى اثرية جليلة الشأن من مسلات وتماثيل وعدداً غير قليل من تماثيل ابي الهول هي الآن زينة دار الآثار بلوندرة وهو الذي اكتشف معبد ابي سمبول واطلال بتريس وهو اول من دخل هرم خفرع وكان الناس يحسبونهُ اذ ذاك كتلة صماء وكان دخولهُ في هذا الهرم سبباً في انشاء نوط باسمهِ اعترافاً بفضلهِ. اما قصص سياحاته فقد كتبت بالانجليزية ومنها ترجمت الى سائر اللغات وهي التي بعثت في اوربا رغبة في الوقوف على تاريخ مصر القديم

اما الذي ازاح الستار عن حياة مصر القديمة في خصائصها فهو (ايبوديتو روزليني دي بيزا) الذي الف سفراً جليلاً سماهُ (آثار مصر ونوبيا) كانت لهُ شهرة واسعة ولا يزال ذا اهمية كبرى رغم تقدم علم الآثار المصرية على يد كبار العلماء امثال ماريت وليبسفورس وماسبيرو واسكاپارللي الذي اكتشف آثاراً مهمة كثيرة . كان روزليني تلميذ (متوفاتي) الشهير الذي درس الماديات المصرية ونشر في ايطاليا اللغة الهيروغليفية التي نسرها وحل رموزها في ذلك الوقت (شامپليون). وكان روزليني يستمد المال اللازم لسياحتهِ من حكومة توسكانا . بدأ في سنة ١٨٢٨ رحلتهُ في مصر واتمها بعد خمسة عشر شهراً زار فيها كل بلاد النيل مفسراً الرموز بهمة لا تعرف الملل حتى عرفت حياة أعظم الشعوب القديمة واعرقها مدنية في كل مظاهرها المختلفة . ولقد نشر في سنة ١٨٣٧ كتاباً في قواعد النحو القبطية وقضى في ريعان شبابهِ من جراء ما عاناهُ من هذه الابحاث وما تكبدهُ فيها من المشاق تاركاً كتباً كثيرة وقاموساً هيروغليفياً وسبع مجلدات تحوي ما حصلهُ من المعلومات الثمينة

ومما كتبهُ (روزليني) عند زيارة مقابر الملوك في طيبة الى الارشيدوق ما يأتي « هنا الكائنات البديعة الانيقة الصنع . هنا غرائب الفن . هنا الصورة العجيبة التي تملأ النفس عجباً ودهشة . هنا الاشياء التي تفوق كل الوصف والتي ارى من الواجب عليّ ان انقل اليك صورها وانا على يقين من انهُ لم تصل اليها يد من قبلُ »

بعد قرون عديدة أزيح ذلك النقاب الكثيف الذي كان يحجب عن انظار العالم مصر العجيبة. فبينما كان جماعة من ذوي الهمم العالية يبذلون مجهودهم في اكتشاف منابع النيل كان جماعة آخرون لا يقلون عنهم شجاعة واقداماً يتغلغلون في صميم المقابر والمعابد القديمة ليكتشفوا مناهل العلم الاول القديم ومنابع المدنية ولقد كانت تلك القبور التي بُعث منها ذلك العالم العظيم سبباً في نشر العلوم التي طويت صحائفها من آلاف السنين فلم تبق مصر القديمة كما كانت من قبل ذلك اللغز الصامت المتعذر الحل بل لقد سقط النقاب عن وجه ابي الهول وحادث شواطىء النيل آهلة بسكانها الذين عمروها طويلاً قبل ميلاد المسيح بآلاف السنين واخذت تنبئنا تلك المسلات والهياكل والمعابد والرسوم والزخارف والاعمدة والنصب المنتشرة في انحاء الوادي الخصيب بمدنية عظيمة ابتعت آثارها على شواطىء ذلك النهر المقدس في مبدأ التاريخ الروماني فكان واجباً على ايطاليا ان تعمل على انهاض تلك المدنية العتيقة التي ورثتها روما وجدّدتها لتعيدها سيرتها الاولى على شواطىء البحر الابيض المتوسط التاريخية

دكتور لويجي ريتالدي
استاذ الفلسفة بالمدرسة الايطالية الملوكية

الوراثة والنشوء

٢

اتينا في العدد الماضي من المقتطف على اهم الحقائق التي توصّل اليها الباحثون في موضوع الوراثة. والباحث في نشوء العمران البشري يتساءل هل لهذه المباحث علاقة بتقدم الانسان ونشوء المدنية؟ هل نستطيع ان ننظم هذه الابحاث لنكشف اسرار الوراثة الانسانية ونقف على حقائقها؟ هل نقدر ان نفعل بالانسان كافعلنا بزهر عجد الصبح او بزور الباذلاّ؟ هل نستطيع ان نولّد جنساً من البشر قوي الجسم شديد الادراك سامي الاخلاق كما فعلنا ببزر الباذلاّ فولدنا بزراً اثقل من البزر الذي بدأنا تجاربنا به؟ والجواب ان ذلك يستحيل علينا في النظام الاجتماعيّ الحاليّ ولكننا نعرف ان بعض صفات الناس ينتقل بالوراثة حسب قانون مندل ونعرف ايضاً ان في خلايا الانسان كروموسومات كما في خلايا النباتات والحيوانات